

## الفصل الأول

وصل متأخراً، وعلى عجلة ينادى :

\_ دانيال.. يا دانيال !

طلَّ دانيال وقال غير مُبالٍ لتأخيره، ويبدو أنه مشغول بشيء :

\_ أهلاً إلياس.. \_وأشار أن يصعد\_

فقال معترضاً :

\_ نحن متأخرين.. هيا لنذهب !

قال دانيال مشيراً مرة أخرى أن يصعد :

\_ فقط اصعد.. أريد أن أحدثك في شيء ما .

فقال له:

\_ في ماذا ستحدثني إننا متأخرون ؟

وقد اعتقد إلياس بأن دانيال سيكون على عجلة هو الآخر.

صعد إليه إلياس وجلسا.. ثم أخذ دانيال نفسه وتجهز لما سيقوله:

\_ يوجد شيء يشغل كل تفكيري ويصيبني بالحيرة أيضاً.

قال إلیاس:

\_ وما هو ذاك؟

سكت دانیال لوهلة.. وحاول أن یجد كلاماً لیصف به شعوره.. ثم قال:

\_ أنا وأنت.. والعالم من حولنا! أشجار.. وأصوات.. وجبال.. ونور بسببه نرى.. حیوانات ومخلوقات منتشرة في كل مكان على الأرض. أعتقد أن عدم محاولتنا رؤية بعض الأشياء بطريقة مخالفة لما اعتدنا علیه؛ قد جعلنا لا نستوعب كل ما فيها من عجب.

قال إلیاس:

\_ ماذا تقصد؟

ردّ علیه دانیال:

\_ انظر حولك! ستجد أن الناس من اعتيادها على رؤية ما حولهم من أشكال الحياة وما فيها من كائنات وسهول وأشجار وبحار؛ أصبحوا لا یبالون لتلك الحياة، وكأنهم ليسوا موجودين فيها.. وكان ما حولنا لا يستحق ولو قليلاً من التفكير.. وكان ما حولنا ليس له وجود.. وأصبح الذي له وجود حقاً هو ما یجول في عقولنا وفي رؤسنا! كأن الناس لا تمشي إلا في رؤسها، ولا ترى إلا ما یشغل بالها فقط.

قال إلیاس:

\_ أوتعلم أن ما قلته الآن غالباً هو ما أفكر فيه في معظم أوقاتي.. ويتابني بعد التفكير في ذلك إحساسٌ غريب.. إحساسٌ غريب بأن هناك شيئاً سوف نعرفه.. شيء سوف نعرفه وهو الذي سيُفسر وسيُعرفنا كل شيء عن هذا الذي حولنا.. ماهو؟

أخذ إلياس ينظر فيما حوله من أشكال الحياة ويتعجب من كونها وكيف أنها موجودة ولماذا وُجدت.. ثم أكمل قائلاً:

\_ إن الأمر ليس كما يبدو لأكثر الناس.. بل إن أكثر الناس في الأصل لا يبدو لها شيء حتى نقول يبدو أو لا يبدو.. وكأنهم لا يبصرون!

تحدث إلياس بطريقة حزينة.. جادة.. وممسكاً على جفونه من إمعانه، انتبه دانيال لما قد سمعه من صديقه إلياس.. ثم قال:

\_ هذا بالفعل هو الواقع.. فإننا في مشينا وفي معظم أفعالنا؛ نحن لا نُبصر ما حولنا، ولكن نُبصر ما يدور في مخيلتنا وما يجول في صدورنا.. وكأننا لا نعيش في البيئة التي نشأنا فيه.. بل نعيش فقط من أجل تنفيذ ما يجول في مخيلتنا وفيما تحتاجه أجسادنا وما يشبعها.. وإنه في الغالب لا يشبعها شيء.

يعمُّ الصمت قليلاً.. ثم يقول دانيال:

\_ فالذي يُحب ويشتهي شيء، ويعتقد بأن الراحة ستكون في فعل هذا الشيء؛ فإنك تراه منغمزاً فيه ويسعى له، وترى الأبواب تُفتح له بعد الأبواب.. وكأنه يُمد له فيه.. شيء عجيب! شيء عجيب أننا نعيش في عالم غير الذي نعيش فيه، والأعجب منه أننا لا نُبصره.. ولكن نُبصر فقط العالم الذي يجول في صدورنا، ومن ثم نغفل عن العالم الحقيقي الذي حولنا.

لكنّ الواجب علينا أن نُبصر العالم الذي نعيش فيه.. وأن نعطي له اهتماماً أكثر، ونتذكر بأن هناك تنبيهات قد استوقفتنا من قبل جعلتنا نتعجب لهذا العالم الذي من حولنا؛ ولكننا لم نُبالي لها.

مشى ناحية الشرفة.. وحدّ بصره ثم قال :

\_ إنني سقيم !

قال إلياس :

\_ كيف هي حال "سارة" ؟ \_ وأخذ يضحك على تحويله مسار الحديث \_

تبسم دانيال ضاحكاً.. ثم قال له:

\_ ألم أقل لك؟ أشياء من هذا القبيل؛ هي التي تُنسينا وتُلهينا عن التفكير في العالم الذي من حولنا.. فهل تجد هذا غريباً؟

تبسم إلياس؛ فتبسم دانيال له ثم قال:

\_ أخبار سارة يا سيّدي.. وهذا بالمناسبة ما ناديت عليك من أجله.

قال إلياس مبتسماً:

\_ جيد..

أكمل دانيال قائلاً:

\_ سوف أتقدم لخطبتها.

فقال إلیاس متفاجئاً وقد مدَّ رأسه للأمام، وفتحاً عیناه، ورافعاً حاجباه فرحاً:

\_ أضحیح ذلك؟

تبسم دانیال.. ثم أقبل إليه إلیاس معانقاً:

\_ مبروك يا أخي.. مبروك!

مكث فرحاً قليلاً ثم قال:

\_ ولعل بسبب زواجك منها تتضح عندك الرؤية أكثر للأشياء التي كنا نتحدث عنها منذ قليل.

قال دانیال مؤكداً لكلامه:

\_ نعم! فلعل زواجي منها يغلق باباً من حاجات النفس وأنشغل كثيراً كما ذكرت.. ولعل الرؤية تتضح أكثر.. ولكن عليّ أولاً بطرف الخيط الذي سوف يوصلني ويُعرفني أكثر عن أمر هذه الحياة وما فيها من كائنات وملكوت.

قال إلیاس وهو صاحب فُكاهة:

\_ أو تحدثت معها في هذا الموضوع.. أنت تعلم.. حتى لا تتفاجأ وتحسبك مجنوناً؟

ابتسم دانیال ضاحكاً وقال له:

\_ نعم! وإن التحدث في هذا الموضوع يزيد الحب والود بيننا أكثر.. وهي تستمع لي وتقول أن هذا الأمر أصلاً له مكان في النفس.. وكأن النفس الإنسانية لها صلة بما نتكلم عنه.. وإن كان معظم الناس عن هذا الأمر غافلون لا يبالون. ومن قبيل هذا أتحدث معها.

قال إلياس وهز رأسه.. وكأنه فهم واستوعب ما قاله دانيال :

\_ جميل..

فقال دانيال :

\_ أوتظن بأن هذا الأمر مثير للسخرية؟

ردَّ إلياس ضاحكاً:

\_ لماذا تتهمني بذلك.. أنا لم أتكلم أصلاً يا رجل؟

فقال دانيال:

\_ ولكنَّ ملاحظك تُنبئ عن ذلك!

ضحك إلياس وقال له :

\_ أنا فقط ألمح لك.. لأنك سوف تجد من يستغرب على انشغالك بهذا الموضوع.

ردَّ عليه دانيال قائلاً:

\_ وهل من العيب أن نفكر فيما حولنا وفيما نشأنا ونعيش فيه؟ كلا! فهذا ليس عيباً.. ولكن

العيب هو أن لا تفكر فيما حولك.. والعيب هو أن لا تسأل.. أن لا تسأل كيف جاءت

الأشياء التي من حولك.. ما هي؟ لماذا هي موجودة؟ ثم بعد ذلك تبدأ تفكر في نفسك.. كيف أنا موجود؟ إنه أنا.. ما هذا؟ طيب.. ما هذا؟ أريد أن أصرخ من أعماقي.. كيف أنا موجود وما هو السبب؟ إنه أنا.. أريد أن أعرف بشدة.. هذه ليست نكتة أو مزاح!

إن العيب يا إلياس؛ هو أن نكون كالعمي.. العيب أن نكون جزء من القطيع.. القطيع الذي لا يرى إلا متطلبات نفسه، ولا يرى إلا ما تحتاجه تلك النفس وكيفية قضاء تلك الاحتياجات.

لكنّ الأولى والواجب أن نعطي ما نشأنا ونعيش فيه حولنا بعض التفكير، وأن نُزيع ما قد تراكم على النفس الإنسانية من أغطية مانعة حائلة.. أغطية مانعة حائلة من أمثال السعي وراء الأموال والأبناء والأزواج والبيوت، وكل تلك الأشياء قد حالت بيننا وبين ربطنا مع ما نحياه حقاً ونشأنا فيه.. وكل تلك الأشياء قد تسببت في الغفلة والتلاهي الذي عند أكثر الناس.

استمع إلياس بإنصات إلى دانيال، وظهر أثر الكلام على وجه إلياس.. ثم عمّ الصمت فترة من الزمن.. ثم قال إلياس:

\_ أظن أن علينا أن نذهب؛ لأننا قد تأخرنا كثيراً عن حصة التنس.. ولم تبقى إلا حصة الرماية، ولا أريد أن أفوتها هي الأخرى.

وفي السيارة حيث ذهبا للنادي؛ قال إلياس:

\_ قل لي ! كيف تعرفت على سارة ؟

قال دانيال وإلياس ينظر إليه:

\_ جاءني اتصال لتصميم ديكور شقة جديدة.. وكانت هذه الشقة هي شقة سارة.. لكنني كنت مشغولاً جداً؛ فاعتذرت.. ثم حدثت بعض التغيرات في جدول أعمالي؛ فعاودت الاتصال عليها.. وهذا على غير عادتي في معاودة الاتصال بأحد.. ومن المصادفات أنها هي الأخرى لم تكن قد وجدت مصمماً بعد على الرغم من عجلتها؛ فتم ورأيتهما.. فأعجبت بها.. ثم بدأت أفكر فيها.. وها أنا ذا ! لعلي أتقدم لخطبتها.

قال إلياس وقد انجذب إلى كلام دانيال:

\_ شيء جميل..

وصلا إلى النادي.. وبينما إلياس في حصة الرماية، فقد تأخرا على حصة التنس؛ رأى دانيال عزم إلياس وتركيزه وهو ماسك البندقية يُريد أن يُصيب مركز الهدف بدقة.. فقال له:  
\_ هل تعلم أن طاقة الإنسان كبيرة جداً.. ولا يستخدم منها إلا عشرة بالمائة عند أقصى الحدود؟

قال إلياس بعد رميته التي كان يصبوب لها:

\_ أوحقاً ما تقول؟



إلياس يريد أن يمزح مع صاحبه المقرب.. فقال له وأخذ يُعد الرمية التالية وتفكيره في مكرٍ  
بجهزه لدانيال :

\_ أتريد أن تجرب ؟ \_ وكانت رمية البندقية تنتج ردة فعل قوية \_

فقال دانيال له:

\_ دعني أجرب!

وأخذ يعدل في وضعية البندقية يريد أن يرمي ويصيب مركز الهدف، إلياس لا يريد أن يخبره  
عن ردة الفعل.. فلما قذفها، ومن قوة ردة الفعل فيها؛ أخذ دانيال يدور حول نفسه ثلاثة أرباع  
دورة؛ ثم سقط على الأرض.. فأخذ إلياس يساعده مظهراً المكر الذي مكره له:

\_ لا عليك.. ها أنت ذا تثبت أنك على حق فيما قلت.

لم يتكلم دانيال ولم يُظهر أي علامات اعتراض أو غضب؛ لأن إلياس صاحبه وصديقه  
المقرب.. بل إنه أعطى يده لـ إلياس ليساعده في النهوض.. ثم وقف وبدأ ينفذ عن نفسه.  
وعلى ضحكاتها ومزحها معاً؛ انتهت حصة الرماية الخاصة بـ إلياس.. وفي طريقها ناحية  
السيارة قال إلياس لدانيال:

\_ هل رتبت أمور ليلة خطبتك على ما يرام؟

فنظر إليه دانيال وهو يُجمّع تفكيره وقال :

\_ أنت تعلم.. رتبها.. ولكني لا أبالي كثيراً... فأنت تعلم أنني لا أتحمس أو أتفائل كثيراً للمستقبل أو للأشياء التي خططت لفعالها؛ لأنه لربما رتبت وخطت لشيء ما وتحمست له؛ ثم لم يتم كما خططت له؛ فأصبح مخذولاً ومتضايق لأنه لم يتم كما خططت.

فأخذها إلياس فرصة لكي يلومه ويمزح معه.. فكيف لا يعطي للأمر اكترائاً أكثر؟ لكن دانيال سرعان ما لاحظ.. فعرف أنه سيلومه.. فقاطعه قائلاً وبداية الضحك على فمه:  
\_ إلا أنني رتبت الأمر.. ولكن عندما تتم؛ ستراني متحمساً.. حتى كما قلت لك؛ لا أحب أن أكون مخذولاً.

فقال إلياس يومئ برأسه وضاحكاً من عدم ترك دانيال له فرصة لكي يعترض عليه:  
\_ جيد.. جيد، قد وضحت رؤية جلالتكم.. وفهمت ما ترمون إليه. وبالمناسبة صحيح! هل تعلم أن كلامك هذا يذكرني بالمحترم إسحاق؟

أخذ إلياس يبيدي إعجابه على تشابه أقوال دانيال مع المحترم إسحاق.. والمحترم إسحاق؛ هو رجل دين.. ثم قال:  
\_ بالمناسبة! سأذهب إليه اليوم.. فقد عاد من أسفاره.

فقال دانيال :

\_ أوعاد؟ إنه كثير السفر!

قال إلياس :

\_ نعم! إنه يسافر كثيراً يحاول إرشاد وإصلاح بعض رجال الدين ممن لهم مخالفات..

أخذ دانيال يتعجب من كلام إلياس وجمعه بين رجال دين ومخالفات؛ فالأمر لا يستقيم عنده... فكيف يكونوا رجال دين ولهم مخالفات؟ ثم أكمل إلياس قائلاً:  
\_ هل ستأتي معي؟

نظر دانيال إليه.. ومحاولاً إدراك ما قال.. فما زال العجب يتملكه:

\_ بالطبع سوف آتي.. فهو رجل هادئ أرتاح له.. له وقار..

وإذا بصوت صراخ يقطع حديثهما.. يبدو أنه صراخ لطفل صغير آتى من ناحية موقف السيارات.. يهرعان ويسرعان ناحية الصوت والفرع قد تملكهما.. وكانا أول الواصلين إلى مكان الصوت.. فإذا بولد صغير.. ولد صغير قد انحشرت رجله بين إطار السيارة والرصيف.. السيارة بابها مفتوح ويبدو أن الصغير قد نزل منها.. أخذ إلياس يُزيح السيارة محاولاً تحريكها؛ إلا أن صُراخ الصغير يشتد من الألم.. فأخذ دانيال بكتفه قائلاً:  
\_ فلنبحث على رافعة لنرفع بها السيارة حتى لا يتأذى الصغير.

دخل دانيال إلى السيارة ورفع مكابح اليد.. ثم أسرع ناحية الصغير الذي يُصرخ من الألم والخوف.. نظر دانيال إلى الصغير فتأثر له بشدة.. نظر الصغير إليه على بكاءه ودموعه منهمة.. أمسك دانيال بعتبة السيارة يحاول رفعها.. وفي هذه الأثناء أتى إلياس برافعة؛ إلا أن السيارة تُرفع من نفسها! فقد رفعها دانيال بيده العارية.. وقد فعل ذلك بعدما تأثر كثيراً جداً لبكاء الطفل الصغير.. فحاول بكل الطرق أن يُنهي ألمه.. نظر إلياس إلى دانيال وعيناه

مفتوحة متسعة وقد عاد مذهولاً على كيفية رفع دانيال السيارة لوحده! يشير دانيال بصعوبة إلى إلياس ويومئ إليه بأن يُحرك الطفل الصغير ويجذبه بعيداً عن السيارة. وبالفعل جذبته إلياس بعيداً وأخذه في حجره وبدأ يربت على كتفه وقد بدأ الناس يجتمعون.. ثم تأتي امرأة حامل على لهفة وكرب فتأخذ تحضن الطفل.. ويبدو أنه صغيرها.. ثم قالت باكية والكرب بادٍ عليها:

\_ انا آسفة يا قلب أمك ! أمك آسفة.. \_ بدأ الصغير روعه في الهدوء، وقلَّ صراخه.. ويأتي صوت من خلال الحلقة المجتمعة قائلاً:  
\_ دعوني أراه ! أنا طيب.

سحب دانيال ذراع إلياس مشيراً إليه بالذهاب.

\* \* \*